



رئاسة الشؤون الدينية
بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

العربية

نُبذة في العقيدة الإسلامية (شرح أصول الإيمان)

نُبذة في العقيدة الإسلامية (شرح أصول الإيمان)



بقلم فضيلة الشيخ العلامة
محمّد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

نُبذةٌ في العقيدة الإسلامية

(شرحُ أصول الإيمان)

بِقَلَمِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ
لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ،
وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ (عِلْمَ التَّوْحِيدِ) أَشْرَفُ الْعُلُومِ، وَأَجْلُّهَا قَدْرًا، وَأَوْجَبُهَا
مَطْلَبًا؛ لِأَنَّهُ الْعِلْمُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَحُقُوقِهِ عَلَى عِبَادِهِ،
وَلِأَنَّهُ مِفْتَاحُ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَسَاسُ شَرَائِعِهِ.

وَلِذَا: أَجْمَعَتِ الرُّسُلُ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٢٥﴾
[الأنبياء: ٢٥].

وَشَهِدَ لِنَفْسِهِ تَعَالَى بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَشَهِدَ بِهَا لَهُ مَلَائِكَتُهُ، وَأَهْلُ
الْعِلْمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا
الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل
عمران: ١٨].

وَلَمَّا كَانَ هَذَا شَأْنُ التَّوْحِيدِ كَانَ لِرِزَامًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهِ
تَعَلُّمًا، وَتَعْلِيمًا، وَتَدَبُّرًا، وَاعْتِقَادًا؛ لِيَبْنِيَ دِينَهُ عَلَى أَسَاسٍ سَلِيمٍ،
وَاطْمِئْنَانٍ وَتَسْلِيمٍ؛ حَتَّى يَسْعَدَ بِثَمَرَاتِهِ، وَنَتَائِجِهِ.

وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ

المؤلف

الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ

الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ: هُوَ الدِّينُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ وَخَتَمَ اللَّهُ بِهِ الْأَدْيَانَ، وَأَكْمَلَهُ لِعِبَادِهِ، وَأَتَمَّ بِهِ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ، وَرَضِيَهُ لَهُمْ دِينًا، فَلَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة: ٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ أَنْ يَدِينُوا لِلَّهِ تَعَالَى بِهِ، فَقَالَ مُخَاطَبًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُلْ يَنَاقِئُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ

فَأَمِينُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

وَالْإِيمَانُ بِهِ: تَصَدِيقُ مَا جَاءَ بِهِ مَعَ الْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ، لَا مُجَرَّدَ التَّصَدِيقِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ أَبُو طَالِبٍ مُؤْمِنًا بِالرَّسُولِ مَعَ تَصَدِيقِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ، وَشَهَادَتِهِ بَأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ الْأَدْيَانِ.

وَالدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ: مُتَضَمِّنٌ لِجَمِيعِ الْمَصَالِحِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا الْأَدْيَانُ السَّابِقَةُ، مُتَمَيِّزٌ عَلَيْهَا بِكَوْنِهِ صَالِحًا لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأُمَّةٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا رَسُولَهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، رقم (١٥٣).

لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهِمِّنًا عَلَيْهِ... ﴿[المائدة: ٤٨].

وَمَعْنَى كَوْنِهِ صَالِحًا لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأُمَّةٍ: أَنَّ التَّمَسُّكَ بِهِ لَا يُنَافِي مَصَالِحَ الْأُمَّةِ فِي أَيِّ زَمَانٍ، أَوْ مَكَانٍ، بَلْ هُوَ صَالِحُهَا، وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ خَاضِعٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأُمَّةٍ، كَمَا يُرِيدُهُ بَعْضُ النَّاسِ.

وَالدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ: هُوَ دِينُ الْحَقِّ الَّذِي ضَمِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ حَقَّ التَّمَسُّكِ أَنْ يَنْصُرَهُ، وَيُظْهِرَهُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: ٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

وَالدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ: عَقِيدَةٌ، وَشَرِيعَةٌ، فَهُوَ كَامِلٌ فِي عَقِيدَتِهِ،
وَشَرَائِعِهِ:

١- يَأْمُرُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَنْهَى عَنِ الشُّرْكِ.

٢- يَأْمُرُ بِالصِّدْقِ وَيَنْهَى عَنِ الْكَذِبِ.

٣- يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَيَنْهَى عَنِ الْجَوْرِ، وَالْعَدْلُ هُوَ الْمُسَاوَاةُ بَيْنَ
الْمُتَمَاثِلَاتِ وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفَاتِ، وَلَيْسَ الْعَدْلُ الْمُسَاوَاةَ
الْمُطْلَقَةَ كَمَا يَنْطِقُ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ حِينَ يَقُولُ: دِينُ الْإِسْلَامِ دِينُ
الْمُسَاوَاةِ، وَيُطْلَقُ، فَإِنَّ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الْمُخْتَلِفَاتِ جَوْرٌ لَا يَأْتِي بِهِ
الْإِسْلَامُ، وَلَا يُحْمَدُ فَاعِلُهُ.

٤- يَأْمُرُ بِالْأَمَانَةِ وَيَنْهَى عَنِ الْخِيَانَةِ.

٥- يَأْمُرُ بِالْوَفَاءِ وَيَنْهَى عَنِ الْغَدْرِ.

٦- يَأْمُرُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَيَنْهَى عَنِ الْعُقُوقِ.

٧- يَأْمُرُ بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ وَهُمْ الْأَقَارِبُ وَيَنْهَى عَنِ الْقَطِيعَةِ.

٨- يَأْمُرُ بِحُسْنِ الْجَوَارِ، وَيَنْهَى عَنْ سَيِّئِهِ.

وَعُمُومُ الْقَوْلِ: أَنَّ (الْإِسْلَامَ) يَأْمُرُ بِكُلِّ خُلُقٍ فَاضِلٍ، وَيَنْهَى عَنْ كُلِّ خُلُقٍ سَافِلٍ. وَيَأْمُرُ بِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَيَنْهَى عَنْ كُلِّ عَمَلٍ سَيِّئٍ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ

أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ: أُسُسُهُ الَّتِي يَنْبَنِي عَلَيْهَا، وَهِيَ خَمْسَةٌ: مَذْكُورَةٌ فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ: عَلَى أَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ - وَفِي رِوَايَةٍ عَلَى خَمْسٍ -: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَالْحَجُّ» فَقَالَ رَجُلٌ: الْحَجُّ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ؟ قَالَ: «لَا، صِيَامُ

رَمَضَانَ، وَالْحَجَّ» هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).

١ - أَمَّا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ:
الاعتقادُ الجازمُ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ، كَأَنَّهُ بِحُزْمِهِ فِي ذَلِكَ
مُشَاهِدٌ لَهُ، وَإِنَّمَا جُعِلَتْ هَذِهِ الشَّهَادَةُ رُكْنًا وَاحِدًا مَعَ تَعَدُّدِ الْمَشْهُودِ
بِهِ:

إِمَّا: لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مُبَلَّغٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَالشَّهَادَةُ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ
وَالرِّسَالَةِ مِنْ تَمَامِ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَأَمَّا: لِأَنَّ هَاتَيْنِ الشَّهَادَتَيْنِ أُسَاسُ صِحَّةِ الْأَعْمَالِ وَقَبُولِهَا؛ إِذْ لَا
صِحَّةَ لِعَمَلٍ وَلَا قَبُولَ، إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِهِ
ﷺ.

فَبِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَتَحَقَّقُ شَهَادَةُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَبِالْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، رقم (٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي
صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس، رقم (١٦).

الله تَحَقَّقُ شَهَادَةٌ: أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ الْعَظِيمَةِ: تَحْرِيرُ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ مِنَ الرِّقِّ
لِلْمَخْلُوقِينَ، وَمَنِ الْإِتْبَاعِ لِغَيْرِ الْمُرْسَلِينَ.

٢- وَأَمَّا إِقَامُ الصَّلَاةِ: فَهُوَ التَّعَبُّدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِفِعْلِهَا عَلَى وَجْهِ
الِاسْتِقَامَةِ وَالتَّمَامِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَهَيْئَاتِهَا.

وَمِنْ ثَمَرَاتِهِ: انْشِرَاحُ الصَّدْرِ، وَقُرَّةُ الْعَيْنِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ.

٣- وَأَمَّا إِيْتَاءُ الزَّكَاةِ: فَهُوَ التَّعَبُّدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِبَذْلِ الْقَدْرِ الْوَاجِبِ فِي
الْأَمْوَالِ الزَّكَوِيَّةِ الْمُسْتَحَقَّةِ.

وَمِنْ ثَمَرَاتِهِ: تَطْهِيرُ النَّفْسِ مِنَ الْخُلُقِ الرَّذِيلِ (البُّخْلِ) وَسَدُّ حَاجَةِ
الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

٤- وَأَمَّا صَوْمُ رَمَضَانَ: فَهُوَ التَّعَبُّدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْإِمْسَاكِ عَنِ
الْمُفْطَرَّاتِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ.

وَمِنْ ثَمَرَاتِهِ: تَرْوِيضُ النَّفْسِ عَلَى تَرْكِ الْمَحْبُوبَاتِ؛ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٥- وَأَمَّا حَجُّ الْبَيْتِ: فَهُوَ التَّعَبُّدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِقَصْدِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ؛
لِلْقِيَامِ بِشَعَائِرِ الْحَجِّ.

وَمِنْ ثَمَرَاتِهِ: تَرْوِيضُ النَّفْسِ عَلَى بَذْلِ الْمَجْهُودِ الْمَالِيِّ وَالْبَدَنِيِّ
فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَلِهَذَا كَانَ الْحَجُّ نَوْعًا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
تَعَالَى.

وَهَذِهِ الثَّمَرَاتُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا لِهَذِهِ الْأُسُسِ وَمَا لَمْ نَذْكُرْهُ تَجَعَّلْ مِنْ
الْأُمَّةِ أُمَّةً إِسْلَامِيَّةً طَاهِرَةً نَقِيَّةً، تَدِينُ لِلَّهِ دِينَ الْحَقِّ، وَتُعَامِلُ الْخَلْقَ
بِالْعَدْلِ وَالصِّدْقِ؛ لِأَنَّ مَا سِوَاهَا مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ يَصْلُحُ بِصَلَاحِ
هَذِهِ الْأُسُسِ، وَتَصْلُحُ أَحْوَالُ الْأُمَّةِ بِصَلَاحِ أَمْرِ دِينِهَا، وَيَفُوتُهَا مِنْ
صَلَاحِ أَحْوَالِهَا بِقَدْرِ مَا فَاتَهَا مِنْ صَلَاحِ أُمُورِ دِينِهَا.

وَمَنْ أَرَادَ اسْتِبَانَةَ ذَلِكَ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ

ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا

فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾

[الأعراف: ٩٦-٩٩].

ولننظر في تاريخ من سبق؛ فإنَّ التاريخَ عِبْرَةٌ لأُولي الألباب،
وبصيرةٌ لمن لم يحلْ دُونَ قلبه حِجَابٌ، والله المُستعان.

أُسُسُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ: - كَمَا سَبَقَ أَنْ أَوْضَحْنَا - عَقِيدَةٌ وَشَرِيعَةٌ، وَقَدْ
أَشَرْنَا إِلَى شَيْءٍ مِنْ شَرَائِعِهِ، وَذَكَرْنَا أَرْكَانَهُ الَّتِي تُعْتَبَرُ أَسَاسًا لِشَرَائِعِهِ.
أَمَّا الْعَقِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، فَأُسُسُهَا: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ،
وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ: خَيْرُهُ، وَشَرُّهُ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْأُسُسِ كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ.

فَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...﴾ [البقرة: ١٧٧]، ويقول فِي الْقَدَرِ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ مُجِيبًا لِجَبْرِيلَ حِينَ سَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ: «الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١).

الْإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى

فَأَمَّا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ فَيَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى:

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٨)، أبو داود: كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٦٩٥).

وَقَدْ دَلَّ عَلَى وُجُودِهِ تَعَالَى: الْفِطْرَةُ، وَالْعَقْلُ، وَالشَّرْعُ، وَالْحِسُّ

أَمَّا دَلَالَةُ الْفِطْرَةِ عَلَى وُجُودِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ قَدْ فُطِرَ عَلَى الْإِيمَانِ بِخَالِقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبَقٍ تَفْكِيرٍ، أَوْ تَعْلِيمٍ، وَلَا يَنْصَرِفُ عَنْ مُقْتَضَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ إِلَّا مَنْ طَرَأَ عَلَى قَلْبِهِ مَا يَصْرِفُهُ عَنْهَا؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسَانِهِ»^(١).

٢- وَأَمَّا دَلَالَةُ الْعَقْلِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَأَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ: سَابِقُهَا وَلَا حَقُّهَا، لَا بُدَّ لَهَا مِنْ خَالِقٍ أَوْجَدَهَا؛ إِذْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَدَ نَفْسُهَا بِنَفْسِهَا، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَدَ صُدْفَةً.

لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَدَ نَفْسُهَا بِنَفْسِهَا؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَخْلُقُ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ قَبْلَ وُجُودِهِ مَعْدُومٌ فَكَيْفَ يَكُونُ خَالِقًا؟!

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم (١٢٩٢)، ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم (٢٦٥٨).

وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ صُدْفَةٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحَدِّثٍ،
وَلِأَنَّ وُجُودَهَا عَلَى هَذَا النِّظَامِ الْبَدِيعِ، وَالتَّنَاسُقِ الْمُتَالِفِ، وَالْإِزْتِبَاطِ
الْمُلْتَحِمِ بَيْنَ الْأَسْبَابِ وَمُسَبِّبَاتِهَا، وَبَيْنَ الْكَائِنَاتِ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ
يَمْنَعُ مَنَعًا بَاتًّا أَنْ يَكُونَ وُجُودُهَا صُدْفَةً؛ إِذِ الْمَوْجُودُ صُدْفَةٌ لَيْسَ عَلَى
نِظَامٍ فِي أَصْلٍ وَجُودِهِ فَكَيْفَ يَكُونُ مُنْتَظِمًا حَالَ بَقَائِهِ وَتَطَوُّرِهِ؟!

وَإِذَا لَمْ يُمْكِنِ أَنْ تَوْجَدَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا، وَلَا أَنْ
تَوْجَدَ صُدْفَةً؛ تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ لَهَا مُوَجِّدٌ وَهُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ وَالْبُرْهَانَ الْقَطْعِيَّ فِي سُورَةِ
الطُّورِ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ۝٣٥﴾
[الطور: ٣٥]. يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ، وَلَا هُمْ الَّذِينَ
خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ؛ فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ خَالِقُهُمْ هُوَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلِهَذَا
لَمَّا سَمِعَ جَبْرِ بْنُ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ سُورَةَ الطُّورِ فَبَلَغَ
هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ۝٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ
الْمُضَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾ [الطور: ٣٥-٣٧].

وكان جَبْرِ يَوْمئِذٍ مُشْرِكًا قَالَ: "كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا وَقَرَ
الْإِيمَانَ فِي قَلْبِي" ^(١).

ولنضرب مثلاً يُوَضِّحُ ذلك: فَإِنَّهُ لَوْ حَدَّثَكَ شَخْصٌ عَنْ قَصْرِ
مُشَيَّدٍ، أَحَاطَتْ بِهِ الْحَدَائِقُ، وَجَرَتْ بَيْنَهَا الْأَنْهَارُ، وَمُلِئَ بِالْفُرُشِ
وَالْأَسِرَّةِ، وَزِينَ بَأَنْوَاعِ الزَّيْنَةِ مِنْ مَقُومَاتِهِ وَمُكَمَّلَاتِهِ، وَقَالَ لَكَ: إِنَّ
هَذَا الْقَصْرَ وَمَا فِيهِ مِنْ كَمَالٍ قَدْ أَوْجَدَ نَفْسَهُ، أَوْ وُجِدَ هَكَذَا صُدْفَةً
بِدُونِ مُوجِدٍ؛ لَبَادَرْتَ إِلَى إِنْكَارِ ذَلِكَ وَتَكْذِيبِهِ، وَعَدَدْتَ حَدِيثَهُ
سَفَهًا مِنَ الْقَوْلِ، أَفَيَجُوزُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَوْنُ الْوَاسِعُ:
بَارْضِهِ، وَسَمَائِهِ، وَأَفْلَاكِهِ، وَأَحْوَالِهِ، وَنِظَامِهِ الْبَدِيعِ الْبَاهِرِ، قَدْ أَوْجَدَ
نَفْسَهُ، أَوْ وُجِدَ صُدْفَةً بِدُونِ مُوجِدٍ؟!

٣- وَأَمَّا دَلَالَةُ الشَّرْعِ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى: فَلَأَنَّ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ

(١) أخرجه البخاري: سورة والطور، رقم (٤٨٥٤).

كُلُّهَا تَنْطِقُ بِذَلِكَ، وما جَاءَتْ بِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ الْعَادِلَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِمَصَالِحِ الْخَلْقِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا مِنْ رَبِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ، وما جَاءَتْ بِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْكُونِيَّةِ الَّتِي شَهِدَ الْوَاقِعُ بِصِدْقِهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا مِنْ رَبِّ قَادِرٍ عَلَى إِيجَادِ مَا أَخْبَرَ بِهِ.

٤ - وَأَمَّا أدِلَّةُ الْحِسِّ عَلَى وجودِ اللَّهِ؛ فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّنَا نَسْمَعُ ونُشَاهِدُ مِنْ إجابةِ الدَّاعِينَ، وَغَوْثِ الْمَكْرُوبِينَ، ما يَدُلُّ دَلالةً قاطِعَةً عَلَى وجودِهِ تعالى، قالَ اللَّهُ سُبحانَهُ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ...﴾ [الأنبياء: ٧٦].

وقالَ تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾ [الأنفال: ٩].

وفي صحيحِ البخاريِّ عن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «إِنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ - وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ - فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا؛ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا، فَثَارَ السَّحَابُ أَمْثالَ الْجِبَالِ، فَلَمْ يَنْزِلْ

عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَنْ لِحْيَتِهِ^(١).

وَفِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ، قَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ، أَوْ غَيْرُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهْدَمُ الْبِنَاءُ، وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا؛ فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا» فَمَا يُشِيرُ إِلَى نَاحِيَةٍ إِلَّا أَنْفَرَجَتْ^(٢).

وَمَا زَالَتْ إِجَابَةُ الدَّاعِينَ أَمْرًا مَشْهُودًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا لِمَنْ صَدَقَ اللُّجُوءُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَتَى بِشَرَائِطِ الْإِجَابَةِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي تُسَمَّى الْمُعْجَزَاتِ وَيُشَاهِدُهَا النَّاسُ، أَوْ يَسْمَعُونَ بِهَا، بُرْهَانٌ قَاطِعٌ عَلَى وُجُودِ مُرْسِلِهِمْ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّهَا أُمُورٌ خَارِجَةٌ عَنْ نِطَاقِ الْبَشَرِ، يُجْرِيهَا اللَّهُ تَعَالَى؛ تَأْيِيدًا لِرُسُلِهِ، وَنَصْرًا لَهُمْ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، رقم (٨٩١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، رقم (٨٩١)، ومسلم: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧).

مثال ذلك: آيةُ مُوسَى عليه السَّلامُ حِينَ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَحْرَ، فَضْرَبَهُ، فَانْفَلَقَ اثْنِي عَشَرَ طَرِيقًا يَابِسًا، وَالْمَاءُ بَيْنَهَا كَالْجِبَالِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

ومثال ثانٍ: آيةُ عِيسَى عليه السَّلامُ حَيْثُ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ بِإِذْنِ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿...وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ...﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال: ﴿...وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي...﴾ [المائدة: ١١٠].

ومثال ثالثٌ: لِمُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ طَلَبَتْ مِنْهُ قُرَيْشُ آيَةً، فَأَشَارَ إِلَى الْقَمَرِ، فَانْفَلَقَ فِرْقَتَيْنِ، فَرَأَاهُ النَّاسُ، وَفِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢].

فهذه الآياتُ الْمَحْسُوسَةُ الَّتِي يُجَرِّهَا اللهُ تَعَالَى؛ تَأْيِيدًا لِرُسُلِهِ، وَنَصْرًا لَهُمْ، تُدَلُّ دَلَالَةً قَطْعِيَّةً عَلَى وُجُودِهِ تَعَالَى.

الْأَمْرُ الثَّانِي مِمَّا يَتَضَمَّنُهُ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِرُبُوبِيَّتِهِ أَيْ بِأَنَّهُ وَحْدَهُ الرَّبُّ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مُعِينَ.

وَالرَّبُّ: مَنْ لَهُ الْخَلْقُ، وَالْمُلْكُ، وَالْأَمْرُ، فَلَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا مَالِكَ إِلَّا هُوَ، وَلَا أَمْرَ إِلَّا لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿...أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَقَالَ: ﴿...ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ أَنْكَرَ رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُكَابِرًا غَيْرَ مُعْتَقِدٍ بِمَا يَقُولُ، كَمَا حَصَلَ مِنْ فِرْعَوْنَ، حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وَقَالَ: ﴿...يَنَازِعُهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي...﴾ [القصص: ٣٨]، لَكِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ عَنْ عَقِيدَةٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...﴾ [النمل: ١٤]. وَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ فِيمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ: ﴿...لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي

لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنَ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وَلِهَذَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُقِرُّونَ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ إِشْرَاكِهِمْ بِهِ فِي الْأُلُوهِيَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدْعُو مَلَكَوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنِّي يُؤَفْكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧].

وَأَمْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ شَامِلٌ لِلأَمْرِ الْكَوْنِيِّ وَالشَّرْعِيِّ، فَكَمَا أَنَّهُ مُدَبِّرُ الْكَوْنِ الْقَاضِي فِيهِ بِمَا يُرِيدُ، حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، فَهُوَ كَذَلِكَ الْحَاكِمُ فِيهِ بِشَرِيعِ الْعِبَادَاتِ، وَأَحْكَامِ الْمُعَامَلَاتِ، حَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ

حِكْمَتُهُ، فَمَنْ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مُشْرَعًا فِي الْعِبَادَاتِ، أَوْ حَاكِمًا فِي الْمُعَامَلَاتِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ بِهِ، وَلَمْ يُحَقِّقِ الْإِيمَانَ.

الْأَمْرُ الثَّلَاثُ مِمَّا يَتَضَمَّنُهُ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِاللَّوْهِيَّةِ أَيْ: بَأَنَّهُ وَحْدَهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَ(الْإِلَهُ) بِمَعْنَى: (الْمَالُوه) أَيْ: (الْمَعْبُود) حُبًّا وَتَعْظِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهُ وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وَكُلُّ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا مَعَ اللَّهِ، يَعْبُدُ مِنْ دُونِهِ؛ فَالْوَهْيَةُ بَاطِلَةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]. وَتَسْمِيَّتُهَا إِلَهَةً لَا يُعْطِيهَا حَقُّ الْأَلُوْهِيَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي (اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ): ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا

أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ... ﴿النجم: ٢٣﴾.

وَقَالَ عَنْ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿...أَتَجِدِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ...﴾ [الأعراف: ٧١].

وَقَالَ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِصَاحِبِي السِّجْنِ: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنَ عَازِبَاتٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ...﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

وَلِهَذَا كَانَتِ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَقُولُونَ لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿...أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ [الأعراف: ٥٩] وَلَكِنْ أَبَى ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ، وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً، يَعْبُدُونَهُمْ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيَسْتَنْصِرُونَ بِهِمْ، وَيَسْتَغِيثُونَ.

وَقَدْ أَبْطَلَ اللَّهُ تَعَالَى اتِّخَاذَ الْمُشْرِكِينَ هَذِهِ الْآلِهَةِ بِبُرْهَانَيْنِ عَقْلَيْنِ:

الأول: أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذِهِ الْآلِهَةِ الَّتِي اتَّخَذُوهَا شَيْءٌ مِنْ خَصَائِصِ
الْأُلُوهِيَّةِ، فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لَا تَخْلُقُ، وَلَا تَجْلِبُ نَفْعًا لِعَابِدِيهَا، وَلَا تَدْفَعُ
عَنْهُمْ ضَرَرًا، وَلَا تَمْلِكُ لَهُمْ حَيَاةً، وَلَا مَوْتًا، وَلَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنَ
السَّمَوَاتِ، وَلَا يُشَارِكُونَ فِيهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ عَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ
يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً
وَلَا نُشُورًا ۝﴾ [الفرقان: ٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ
مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...﴾ [سبأ: ٢٢-
٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا
يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٩١-
١٩٢].

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالُ تِلْكَ الْآلِهَةِ فَإِنَّ اتِّخَاذَهَا إِلَهَةً مِنْ أَسْفَهِ السَّفَهِ،
وَأَبْطَلِ الْبَاطِلِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَقْرُونُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ
الرَّبُّ الْخَالِقُ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ،
وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يُوحِّدُوهُ بِالْأُلُوهِيَّةِ، كَمَا وَحَّدُوهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ
أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى
يُؤْفَكُونَ ﴿٨﴾﴾ [الزخرف: ٨٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ
الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

الْأَمْرُ الرَّابِعُ مِمَّا يَتَضَمَّنُهُ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ:

أي: إثبات ما أثبتته الله لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿...وَلَهُ الْأَمْثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وَقَدْ ضَلَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ طَائِفَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: (الْمُعْطَلَّة) الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، أَوْ بَعْضَهَا، زَاعِمِينَ أَنَّ إِثْبَاتَهَا لِلَّهِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، أَي: تَشْبِيهَ اللَّهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ، وَهَذَا الزَّعْمُ بَاطِلٌ؛ لِوُجُوهٍ، مِنْهَا:

الأول: أَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ لَوَازِمَ بَاطِلَةٍ؛ كَالْتَنَاقُضِ فِي كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، وَنَفَى أَنْ يَكُونَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ إِثْبَاتُهَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ؛ لَزِمَ التَّنَاقُضُ فِي كَلَامِ اللَّهِ، وَتَكْذِيبُ بَعْضِهِ بَعْضًا.

الثاني: أَنَّهُ لَا يَلْزِمُ مِنْ اتِّفَاقِ الشَّيْئَيْنِ فِي اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ أَنْ يَكُونَا مَتَمَاثِلَيْنِ، فَأَنْتَ تَرَى الشَّخْصَيْنِ يَتَّفَقَانِ فِي أَنَّ كِلَا مِنْهُمَا إِنْسَانٌ سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، مُتَكَلِّمٌ، وَلَا يَلْزِمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتَمَاثِلَا فِي الْمَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْكَلَامِ.

وترى الحيوانات لها أَيْدٍ، وَأَرْجُلٌ، وَأَعْيُنٌ، وَلَا يَلْزِمُ مِنْ اتِّفَاقِهَا هَذَا أَنْ تَكُونَ أَيْدِيهَا، وَأَرْجُلُهَا، وَأَعْيُنُهَا مَتَمَاثِلَةً.

فإذا ظهر التَّبَايُنُ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِيمَا تَتَّفَقُ فِيهِ مِنْ أَسْمَاءٍ أَوْ صِفَاتٍ؛ فَالْتَّبَايُنُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ أَبِينُ وَأَعْظَمُ.

الطَّائِفَةُ الثَّانِيَّةُ: (الْمَشَبَّهَةُ) الَّذِينَ أَثْبَتُوا الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ مَعَ تَشْبِيهِ اللَّهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ، زَاعِمِينَ أَنَّ هَذَا مُقْتَضَى دَلَالَةِ النَّصُوصِ؛ لِأَنَّ

الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون، وهذا الزعم باطلٌ؛ لوجوهٍ،
منها:

الأول: أنَّ مشابهة الله تعالى لخلقه أمرٌ يبطله العقل والشرع، ولا
يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمرًا باطلاً.

الثاني: أنَّ الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل
المعنى، أمَّا الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو ممَّا استأثر
الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميعٌ؛ فإنَّ السَّمْع معلومٌ من حيث أصل
المعنى (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سَمْع
الله تعالى غير معلومة؛ لأنَّ حقيقة السَّمْع تتباين حتَّى في المخلوقات؛
فالتَّباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه؛ فإنَّ الاستواء
من حيث أصل المعنى معلومٌ، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليها
غير معلومة لنا بالنسبة إلى استواء الله على عرشه؛ لأنَّ حقيقة

الاستواء تتباين في حقِّ المخلوق، فليس الاستواء على كرسِيٍّ مستقرٍّ كالاستواء على رحلٍ بعيرٍ صعبٍ نفورٍ، فإذا تباينت في حقِّ المخلوق؛ فالْتَبَاينُ فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمراتٍ جليلةً،
منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى، بحيث لا يتعلّق بغيره رجاءٌ، ولا خوفٌ، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى، وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

الإيمان بالملائكة

الملائكة: عالمٌ غيبيٌّ، مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيءٌ، خلقهم الله تعالى من نورٍ، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه. قال الله تعالى: ﴿...وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

وهم عددٌ كثيرٌ، لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنسٍ رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي ﷺ رفع له البيت المعمور في السماء، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمورٍ:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم أسماءهم نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلق عليها، وله ست مئة جناح قد سد الأفق.

وقد يتحوّل الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (لجبريل) حين أرسله الله تعالى إلى مريم فتمثل لها بشراً سوياً، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه، جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من أصحابه، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها؛ فأجابته النبي ﷺ فأنطلق، ثم قال ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ؛ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»^(١).

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم (٨).

كانوا على صُورَةٍ رِجَالٍ.

الرَّابِعُ مِمَّا يَتَّصِفُهُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ: الْإِيمَانُ بِمَا عَلِمْنَا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَقُومُونَ بِهَا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ كَتَسْبِيحِهِ، وَالتَّعَبُّدِ لَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا بِدُونِ مَلَلٍ، وَلَا فُتُورٍ.

وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِهِمْ أَعْمَالٌ خَاصَّةٌ.

مِثْلُ: جِبْرِيلَ الْأَمِينِ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ تَعَالَى، يُرْسِلُهُ اللَّهُ بِهِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ.

وَمِثْلُ: مِيكَائِيلَ: الْمُوَكَّلِ بِالْقَطْرِ، أَيْ بِالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ.

وَمِثْلُ: إِسْرَافِيلَ: الْمُوَكَّلِ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ وَبَعْثِ الْخَلْقِ.

وَمِثْلُ: مَلَكِ الْمَوْتِ: الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

وَمِثْلُ: مَالِكٍ: الْمُوَكَّلِ بِالنَّارِ، وَهُوَ خَازِنُ النَّارِ.

وَمِثْلُ: الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالْأَجَنَّةِ فِي الْأَرْحَامِ، إِذَا أَتَمَّ الْإِنْسَانُ

أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا وَأَمَرَهُ بِكَتَبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.

ومثل: الملائكة الموكِّلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها، لكلِّ إنسانٍ مَلَكَانِ، أَحَدُهُمَا عَنِ الْيَمِينِ وَالثَّانِي عَنِ الشَّامِلِ.

ومثل: الملائكة الموكِّلين بِسُؤَالِ الْمَيِّتِ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِه؛ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ يَسْأَلَانِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ.

وَالْإِيمَانُ بِالمَلَائِكَةِ يُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً، مِنْهَا:

الأولى: الْعِلْمُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقُوَّتِهِ، وَسُلْطَانِهِ؛ فَإِنَّ عَظَمَةَ الْمَخْلُوقِ تَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ.

الثَّانِيَةِ: شُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِنَايَتِهِ بِبَنِي آدَمَ؛ حَيْثُ وَكَّلَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ مَنْ يَقُومُ بِحِفْظِهِمْ، وَكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِهِمْ.

الثَّالِثَةِ: مَحَبَّةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى مَا قَامُوا بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَدْ أَنْكَرَ قَوْمٌ مِنَ الزَّائِعِينَ كَوْنَ الْمَلَائِكَةِ أَجْسَامًا، وَقَالُوا: إِنَّهُمْ
عِبَارَةٌ عَنْ قُوَى الْخَيْرِ الْكَامِنَةِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ، وَهَذَا تَكْذِيبٌ لِكِتَابِ
اللَّهِ تَعَالَى، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ
رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا...﴾ [فاطر: ١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ...﴾ [الأنفال: ٥٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿...وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ
بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ...﴾ [الأنعام: ٩٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿...حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا
الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣].

وَقَالَ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿...وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»^(١).

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَأَلَّأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا الصُّحُفَ وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»^(٢).

وَهَذِهِ النُّصُوصُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَجْسَامٌ لَا قُوَى مَعْنَوِيَّةٌ، كَمَا قَالَ الزَّائِعُونَ، وَعَلَى مُقْتَضَى هَذِهِ النُّصُوصِ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٠٣٧)، ومسلم:

كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا، حبيه إلى عبادته، رقم (٢٦٣٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الاستماع إلى الخطبة، رقم (٨٨٧)،

ومسلم: كتاب الجمعة، باب فضل التهجير يوم الجمعة، رقم (٨٥٠).

الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ

الْكِتَابُ: جَمْعُ (كِتَابٍ) بِمَعْنَى (مَكْتُوبٍ).

وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا: الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رُسُلِهِ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ، وَهِدَايَةً لَهُمْ؛ لِيَصِلُوا بِهَا إِلَى سَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ يَتَّصِفُ بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ نَزُولَهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَقًّا.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِمَا عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهَا بِاسْمِهِ: كَالْقُرْآنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَالتَّوْرَةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى ﷺ وَالْإِنْجِيلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى ﷺ وَالزَّبُورِ الَّذِي أُوتِيَهُ دَاوُدُ ﷺ وَأَمَّا مَا لَمْ نَعْلَمْ اسْمَهُ فَنُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا.

الثَّالِثُ: تَصَدِيقُ مَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِهَا، كَأَخْبَارِ الْقُرْآنِ، وَأَخْبَارِ مَا لَمْ يُبَدَّلْ أَوْ يُحَرَّفَ مِنَ الْكِتَابِ السَّابِقَةِ.

الرَّابِع: الْعَمَلُ بِأَحْكَامِ مَا لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا، وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ بِهِ، سَوَاءً أَفْهَمْنَا حِكْمَتَهُ أَمْ لَمْ نَفْهَمْهَا، وَجَمِيعُ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مَنْسُوخَةٌ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ...﴾ [المائدة: ٤٨] أَي: حَاكِمًا عَلَيْهِ.

وعلى هذا: فلا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِأَيِّ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ إِلَّا مَا صَحَّ مِنْهَا وَأَقَرَّهُ الْقُرْآنُ.

وَالْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ يُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً، مِنْهَا:

الأولى: الْعِلْمُ بِعِنَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ أَنْزَلَ لِكُلِّ قَوْمٍ كِتَابًا يَهْدِيهِمْ بِهِ.

الثَّانِيَّة: الْعِلْمُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي شَرْعِهِ؛ حَيْثُ شَرَعَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا يُنَاسِبُ أَحْوَالَهُمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿...لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمَنْهَاجًا...﴾ [المائدة: ٤٨].

الثَّالِثَةُ: شُكْرُ نِعْمَةِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ.

الإيمانُ بالرسُل

الرُّسُلُ: جَمْعُ (رَسُولٍ) بِمَعْنَى: (مُرْسَلٍ) أَي مَبْعُوثٍ بِإِبْلَاحِ شَيْءٍ.

والمُرَادُ هُنَا: مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَشَرِ بِشَرْعٍ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ.

وَأَوَّلُ الرُّسُلِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّيِّسِ مِنْ بَعْدِهِ...﴾ [النساء: ١٦٣].

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «ذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَى آدَمَ؛ لِيَشْفَعَ لَهُمْ، فَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ وَيَقُولُ: ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رُسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ» وذكر تمام الحديث^(١).

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...﴾ [الأحزاب].

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ...﴾، رقم (٧٤١٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٣).

وَلَمْ تَخُلْ أُمَّةً مِنْ رَسُولٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِشَرِيعَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ إِلَى قَوْمِهِ،
أَوْ نَبِيِّ يُوحَى إِلَيْهِ بِشَرِيعَةٍ مِنْ قَبْلِهِ؛ لِيُجَدِّدَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ
بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾
[النحل: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿...وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ
الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا...﴾ [المائدة: ٤٤].

وَالرُّسُلُ بَشَرٌ مَخْلُوقُونَ، لَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ
وَالْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ سَيِّدُ الرُّسُلِ،
وَأَعْظَمُهُمْ جَاهًا عِنْدَ اللَّهِ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا
شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ❶ قُلْ إِنِّي لَنْ
يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ❷ [الجن: ٢١]-

وَتَلَحُّقُهُمْ خَصَائِصُ الْبَشَرِيَّةِ: مِنَ الْمَرَضِ، وَالْمَوْتِ، وَالْحَاجَةِ إِلَى الطَّعَامِ، وَالشَّرَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي وَصْفِهِ لِرَبِّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٧٩-٨١].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنَسَى كَمَا تَنْسُونَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي»^(١).

وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ فِي أَعْلَى مَقَامَاتِهِمْ، وَفِي سِيَاقِ الشَّانِ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ تَعَالَى فِي نُوحٍ ﷺ: ﴿...إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وَقَالَ فِي مُحَمَّدٍ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ

(١) أخرجه البخاري: أبواب القبلة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، رقم (٣٩٢)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة، والسجود له، رقم (٥٧٢).

لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ [الفرقان: ١].

وَقَالَ فِي إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ -:
﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ ﴿١٥﴾ إِنَّا
أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿١٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ
﴿١٧﴾﴾ [ص: ٤٥-٤٧].

وَقَالَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ
مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف: ٥٩].

وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةً أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ رِسَالَاتَهُمْ حَقٌّ مِّنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ كَفَرَ بِرِسَالَةِ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِالْجَمِيعِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥] فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ مُكَذِّبِينَ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ
مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَسُولٌ غَيْرُهُ حِينَ كَذَّبُوهُ، وَعَلَى هَذَا فَالْنَّصَارَى الَّذِينَ
كَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ؛ هُمْ مُكَذِّبُونَ لِلْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، غَيْرُ
مُتَّبِعِينَ لَهُ أَيْضًا، لَا سِيَّما أَنَّهُ قَدْ بَشَّرَهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا مَعْنَى

لِإِسَارَتِهِمْ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَسُولٌ إِلَيْهِمْ، يُنْقِذُهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

الثاني: الإيمان بِمَنْ عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ مَثَلُ: مُحَمَّدٍ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَنُوحٍ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وَقَدْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوَاضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧] وَقَوْلِهِ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۝١٣﴾ [الشورى: ١٣].

وَأَمَّا مَنْ لَمْ نَعْلَمْ اسْمَهُ مِنْهُمْ؛ فَتَوَمَّنْ بِهِ إِجْمَالًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ...﴾ [غافر: ٧٨].

الثالث: تصديق ما صحَّ عَنْهُمْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ.

الرَّابِع: الْعَمَلُ بِشَرِيعَةٍ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْنَا مِنْهُمْ، وَهُوَ خَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ الْمُرْسَلُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وَلِلْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ، مِنْهَا:

الأولى: الْعِلْمُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ؛ لِيَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُيَسِّنُوا لَهُمْ كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ الْبَشَرِيَّ لَا يَسْتَقِلُّ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ.

الثانية: شُكْرُهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَى.

الثالثة: مَحَبَّةُ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَتَعْظِيمُهُمْ، وَالشَّاءُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِأَنَّهُمْ قَامُوا بِعِبَادَتِهِ، وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَالنُّصْحِ لِعِبَادِهِ.

وَقَدْ كَذَّبَ الْمُعَانِدُونَ رُسُلَهُمْ زَاعِمِينَ أَنَّ رُسُلَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَكُونُونَ مِنَ الْبَشَرِ! وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الزَّعَمَ، وَأَبْطَلَهُ بِقَوْلِهِ

سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ [الإسراء: ٩٤-٩٥].

فأبطل الله تعالى هذا الزعمَ بأنه لا بُدَّ أن يكون الرسولُ بشرًا؛ لأنَّه مُرْسَلٌ إلى أهل الأرضِ وهم بشرٌ، ولو كان أهل الأرضِ ملائكةً لَنَزَلَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا؛ لِيَكُونَ مِثْلَهُمْ، وَهَكَذَا حَكَى اللهُ تَعَالَى عَنِ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿...إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ [إبراهيم: ١٠-١١].

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

الْيَوْمُ الْآخِرُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُبْعَثُ النَّاسُ فِيهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.
وَسُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَوْمَ بَعْدَهُ؛ حَيْثُ يَسْتَقِرُّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي
مَنَازِلِهِمْ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي مَنَازِلِهِمْ.
وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةً أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ: وَهُوَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى حِينَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حُفَاةً غَيْرَ مُتَعَلِّينَ، عُرَاةً
غَيْرَ مُسْتَتَرِينَ، غُرُلًا غَيْرَ مُخْتَبِتِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿...كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ
خَلْقِ نُعِيدُهُ وَوَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وَالْبَعْثُ: حَقٌّ ثَابِتٌ، دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَإِجْمَاعُ
الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ ⑤ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاءَ غُرْلًا»^(١). مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ثُبُوتِهِ، وَهُوَ مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ؛ حَيْثُ تَقْتَضِي أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْخَلِيقَةِ مَعَادًا، يُجَازِيهِمْ فِيهِ عَلَى مَا شَرَعَهُ لَهُمْ فِيمَا بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ...﴾ [القصص: ٨٥].

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ: يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلَى عَمَلِهِ، وَيُجَازَى عَلَيْهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾^(٢) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ^(٣)

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، رقم (٢٨٥٩).

وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَفَّهُ - أَيَّ سِتْرِهِ - وَيَسْتُرُهُ: فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيَّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»^(١) متفق عليه.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَأَنَّ مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»^(١).

وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى إِثْبَاتِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَهُوَ مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَفَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ قَبُولَ مَا جَاءُوا بِهِ، وَالْعَمَلَ بِمَا يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ مِنْهُ، وَأَوْجَبَ قِتَالَ الْمُعَارِضِينَ لَهُ وَأَحَلَّ دِمَاءَهُمْ، وَذُرِّيَّاتِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ حِسَابٌ وَلَا جَزَاءٌ لَكَانَ هَذَا مِنَ الْعَبَثِ الَّذِي يُنَزَّهُ الرَّبُّ الْحَكِيمُ عَنْهُ، وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۖ﴾^(٢) فَلَنَقْصُصَنَّ

الظَّالِمِينَ ﴿﴾، رَقْم (٢٣٠٩)، ومسلم: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله، رَقْم (٢٧٦٨).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسَيِّئَةٍ لم تكتب، رَقْم (١٣١).

عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ [الأعراف: ٦-٧].

الثالث: الإيمان بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأَنْهُمَا الْمَالُ الْأَبَدِيُّ لِلْخَلْقِ.

فَالْجَنَّةُ دَارُ النَّعِيمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَقَامُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، مُخْلِصِينَ لِلَّهِ، مُتَّبِعِينَ لِرَسُولِهِ، فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ «مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

وَأَمَّا النَّارُ: فَهِيَ دَارُ الْعَذَابِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْكَافِرِينَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، رقم (٤٥٠١)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٢٤).

الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ،
وَالنَّكَالِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي
أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣١). [آل عمران: ١٣١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ
فَلْيُكْفُرْ ۖ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا
يُعَانُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٢٩).
[الكهف: ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٦٤) خَلِيدِينَ
فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُثْقَلُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ
يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) [الأحزاب: ٦٤-٦٦].

وَلِلْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ، مِنْهَا:

الأولى: الرَّغْبَةُ فِي فِعْلِ الطَّاعَةِ، وَالْحِرْصُ عَلَيْهَا؛ رَجَاءٌ لِثَوَابِ
ذَلِكَ الْيَوْمِ.

الثَّانِيَةُ: الرَّهْبَةُ مِنْ فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ، وَمِنْ الرِّضَى بِهَا؛ خَوْفًا مِنْ عِقَابِ

ذلك اليوم.

الثالثة: تَسْلِيَةُ الْمُؤْمِنِ عَمَّا يَفُوتُهُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَرْجُوهُ مِنْ نَعِيمِ
الْآخِرَةِ، وَثَوَابِهَا.

وَقَدْ أَنْكَرَ الْكَافِرُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ زَاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ
مُمْكِنٍ.

وهذا الزَّعمُ باطلٌ، دَلَّ عَلَى بُطْلَانِهِ الشَّرْعُ، وَالْحِسُّ، وَالْعَقْلُ.

أَمَّا الشَّرْعُ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ
بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾
[التغابن: ٧]. وَقَدْ اتَّفَقَتْ جَمِيعُ الْكُتُبِ السَّمَاءِيَّةِ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْحِسُّ: فَقَدْ أَرَى اللَّهُ عِبَادَهُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَفِي
سُورَةِ الْبَقَرَةِ، خَمْسَةَ أَمْثَلَةٍ عَلَى ذَلِكَ، هِيَ:

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ: قَوْمُ مُوسَى حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى
اللَّهَ جَهْرَةً...﴾ [البقرة: ٥٥] فَأَمَاتَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، وَفِي ذَلِكَ
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ

حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّلِيقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦].

المِثَالُ الثَّانِي: فِي قِصَّةِ الْقَتِيلِ الَّذِي اخْتَصَمَ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَذْبَحُوا بَقْرَةً فَيَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا؛ لِيُخْبِرَهُمْ بِمَنْ قَتَلَهُ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٦﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣].

المِثَالُ الثَّلَاثُ: فِي قِصَّةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فَرَارًا مِنَ الْمَوْتِ وَهُمْ أُلُوفٌ؛ فَأَمَاتَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

المِثَالُ الرَّابِعُ: فِي قِصَّةِ الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ مَيِّتَةٍ، فَاسْتَبَعَدَ أَنْ يُحْيِيَهَا اللَّهُ تَعَالَى؛ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِئَةَ سَنَةٍ، ثُمَّ أَحْيَاهُ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي

هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْنَهُ ۖ وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِتَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ۖ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ [البقرة: ٢٥٩].

المثال الخامس: فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، حِينَ سَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي الْمَوْتَى؛ فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَذْبَحَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ، وَيُفَرِّقَهُنَّ أَجْزَاءً عَلَى الْجِبَالِ الَّتِي حَوْلَهُ، ثُمَّ يُنَادِيَهُنَّ؛ فَتَلْتِمُ الْأَجْزَاءُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَيَأْتِينَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ سَعْيًا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ۖ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ۖ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ۖ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۖ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فَهَذِهِ أَمْثَلَةٌ حَسِيَّةٌ وَاقِعَةٌ، تَدُلُّ عَلَى إِمْكَانِ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَقَدْ سَبَقَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى مَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آيَاتِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي

إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ - بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى -.

وَأَمَّا دَلَالَةُ الْعَقْلِ: فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا فِيهِمَا، خَالِقُهُمَا ابْتِدَاءً، وَالْقَادِرُ عَلَى ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ لَا يَعْجِزُ عَنْ إِعَادَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ...﴾ [الروم: ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿...كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وَقَالَ أَمْرًا بِالرَّدِّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ إِحْيَاءَ الْعِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

الثَّانِي: أَنَّ الْأَرْضَ تَكُونُ مَيِّتَةً هَامِدَةً، لَيْسَ فِيهَا شَجَرَةٌ خَضِرَاءُ؛ فَيَنْزِلُ عَلَيْهَا الْمَطَرُ؛ فَتَهْتَزُّ خَضِرَاءَ حَيَّةً، فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٌ، وَالْقَادِرُ عَلَى إِحْيَائِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَالِشَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ

أَهْزَنْتُ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾
[فصلت: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً مُبَرَّكَاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ
الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ
بَلَدَةً مَيِّتَةً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝﴾ [ق: ٩-١١].

وَيَلْتَحِقُ بِالْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ
مِثْلَ:

(أ) فِتْنَةُ الْقَبْرِ: وَهِيَ سُؤَالُ الْمَيِّتِ بَعْدَ دَفْنِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ؛
فَيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، فيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَدِينِي
الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ فيَقُولُ الْكَافِرُ: هَاهُ،
هَاهُ، لَا أَدْرِي، وَيَقُولُ الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ
يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُه.

(ب) عَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ: فيَكُونُ لِلظَّالِمِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ
وَالْكَافِرِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿...وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ

وَالْمَلَكُ بِاسْطِوَائِهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾
[الأنعام: ٩٣].

وقال تعالى في آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: ٤٦].

وفي صحيح مسلمٍ من حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي
أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ». قَالُوا:
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا:
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا
بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ^(١).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من
الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، رقم (٢٨٦٧).

وَأَمَّا نَعِيمُ الْقَبْرِ: فَلِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٩].

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي الْمُؤْمِنِ إِذَا أَجَابَ الْمَلَائِكِينَ فِي قَبْرِهِ: «يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَافْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ» رواه أحمد وأبو داود في حديثٍ طويلٍ^(١).

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣)، وأحمد: مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب، رقم (١٨٥٣٤).

وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ فَأَنْكَرُوا عَذَابَ الْقَبْرِ، وَنَعِيمَهُ، زَاعِمِينَ
أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُمَكِّنٍ لِمُخَالَفَتِهِ الْوَاقِعَ، قَالُوا: فَإِنَّهُ لَوْ كُشِفَ عَنِ الْمَيِّتِ
فِي قَبْرِهِ لَوُجِدَ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَالْقَبْرُ لَمْ يَتَغَيَّرْ بِسَعَةِ وَلَا ضَيْقٍ.

وَهَذَا الزَّعْمُ بَاطِلٌ بِالشَّرْعِ، وَالْحِسِّ، وَالْعَقْلِ:

أَمَّا الشَّرْعُ: فَقَدْ سَبَقَتْ النُّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَى ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ،
وَنَعِيمِهِ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "خَرَجَ
النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَعْضِ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ؛ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذِّبَانِ فِي
قُبُورِهِمَا" وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: «أَنَّ أَحَدَهُمَا كَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ»
وَفِي رِوَايَةٍ: «مِنْ بَوْلِهِ» «وَأَنَّ الْآخَرَ كَانَ يَمْشِي بِالنَّيْمَةِ»، وَفِي رِوَايَةٍ
لِمُسْلِمٍ: «لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ»^(١).

وَأَمَّا الْحِسُّ: فَإِنَّ النَّائِمَ يَرَى فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي مَكَانٍ فَسِيحٍ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، رقم (٢١٥).

بِهَيْجٍ، يَتَنَعَّمُ فِيهِ، أَوْ أَنَّهُ كَانَ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ مُوحِشٍ، يَتَأَلَّمُ مِنْهُ، وَرُبَّمَا يَسْتَقِظُ أحيانًا مِمَّا رَأَى، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ فِي حُجْرَتِهِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَالنَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ؛ وَلِهَذَا سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَفَاةً) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ [الزمر: ٤٢].

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَإِنَّ النَّائِمَ فِي مَنَامِهِ يَرَى الرُّؤْيَا الْحَقَّ الْمُطَابِقَةَ لِلْوَاقِعِ، وَرُبَّمَا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ عَلَى صِفَتِهِ، وَمَنْ رَأَاهُ عَلَى صِفَتِهِ؛ فَقَدْ رَأَاهُ حَقًّا، وَمَعَ ذَلِكَ، فَالنَّائِمُ فِي حُجْرَتِهِ عَلَى فِرَاشِهِ بَعِيدٌ عَمَّا رَأَى، فَإِذَا كَانَ هَذَا مُمَكِّنًا فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا أَفَلَا يَكُونُ مُمَكِّنًا فِي أَحْوَالِ الْآخِرَةِ؟!

وَأَمَّا اعْتِمَادُهُمْ فِيَمَا زَعَمُوهُ عَلَى أَنَّهُ لَوْ كُشِفَ عَنِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِه؛ لَوُجِدَ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَالْقَبْرُ لَمْ يَتَغَيَّرْ بِسَعَةٍ وَلَا ضَيْقٍ؛ فَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهِهَا:

الأول: أَنَّهُ لَا تَجُوزُ مُعَارَضَةُ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ، بِمِثْلِ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ الدَّاحِضَةِ الَّتِي لَوْ تَأَمَّلَ الْمُعَارِضُ بِهَا مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ حَقَّ التَّأَمُّلِ لَعَلِمَ بُطْلَانَ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ، وَقَدْ قِيلَ:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا *** وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

الثاني: أَنَّ أَحْوَالَ الْبَرْزَخِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا الْحِسُّ، وَلَوْ كَانَتْ تُدْرِكُ بِالْحِسِّ لَفَاتَتْ فَائِدَةُ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، وَلَتَسَاوَى الْمُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالْجَاهِدُونَ فِي التَّصَدِيقِ بِهَا.

الثالث: أَنَّ الْعَذَابَ، وَالنَّعِيمَ، وَسَعَةَ الْقَبْرِ، وَضِيقَهُ؛ إِنَّمَا يُدْرِكُهَا الْمَيِّتُ دُونَ غَيْرِهِ، وَهَذَا كَمَا يَرَى النَّائِمُ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ مُوَحِّشٍ، أَوْ فِي مَكَانٍ وَاسِعٍ بَهِيحٍ، وَالَّذِي حَوْلَهُ لَا يَرَى ذَلِكَ وَلَا يَشْعُرُ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ؛ فَيَسْمَعُ الْوَحْيَ، وَلَا يَسْمَعُهُ الصَّحَابَةُ، وَرُبَّمَا يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيَكَلِّمُهُ، وَالصَّحَابَةُ لَا يَرَوْنَ الْمَلَكَ، وَلَا يَسْمَعُونَهُ.

الرَّابِع: أَنَّ إِدْرَاكَ الْخَلْقِ مَحْدُودٌ بِمَا مَكَّنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ إِدْرَاكِهِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُدْرِكُوا كُلَّ مَوْجُودٍ، فَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَالْأَرْضُ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَسْبِيحًا حَقِيقِيًّا، يَسْمَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ أَحْيَاءًا، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ مَحْجُوبٌ عَنَّا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...﴾ [الإسراء: ٤٤] وهكذا الشَّيَاطِينُ وَالْجِنُّ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ ذَهَابًا، وَإِيَابًا، وَقَدْ حَضَرَتِ الْجِنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَمَعُوا لِقِرَاءَتِهِ، وَأَنْصَتُوا، وَوَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، وَمَعَ هَذَا فَهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنَّا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَبْنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ اتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧] وَإِذَا كَانَ الْخَلْقُ لَا يُدْرِكُونَ كُلَّ مَوْجُودٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْكِرُوا مَا ثَبَتَ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ، وَلَمْ يُدْرِكُوهُ.

الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ

الْقَدَرُ (بِفَتْحِ الدَّالِ): تَقْدِيرُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْكَائِنَاتِ، حَسَبَ مَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ، وَاقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، أَزَلًا وَأَبَدًا، سِوَاءَ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِهِ، أَوْ بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَفِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(١).

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم

الثالث: الإيمانُ بأنَّ جميعَ الكائناتِ لا تكونُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تعالى، سواءَ أكانتِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِهِ، أَمْ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ المَخْلُوقِينَ، قالَ اللَّهُ تعالى فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِهِ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ...﴾ [القصص: ٦٨]، وقال: ﴿...وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ...﴾ [آل عمران: ٦]، وقال تعالى فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ المَخْلُوقِينَ: ﴿...وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ...﴾ [النساء: ٩٠]، وقال: ﴿...وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَهُ فَدَرَّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

الرابع: الإيمانُ بأنَّ جميعَ الكائناتِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تعالى بِذَوَاتِهَا، وَصِفَاتِهَا، وَحَرَكَاتِهَا، قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقالَ سُبْحَانَهُ: ﴿...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقالَ عَنِ نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٦٦].

والإيمان بِالْقَدَرِ - على ما وَصَفْنَا - لَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةٌ فِي أَفْعَالِهِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ، وَقُدْرَةٌ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ وَالْوَاقِعَ دَالَّانِ عَلَى إِثْبَاتِ ذَلِكَ لَهُ.

أَمَّا الشَّرْعُ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمَشِيئَةِ: ﴿...فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبا: ٣٩]، وَقَالَ: ﴿...فَأَتُونَا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ...﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وَقَالَ فِي الْقُدْرَةِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا...﴾ [التغابن: ١٦]، وَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وَأَمَّا الْوَاقِعُ: فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ مَشِيئَةً وَقُدْرَةً، بِهِمَا يَفْعَلُ، وَبِهِمَا يَتْرُكُ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ مَا يَقَعُ بِإِرَادَتِهِ كَالْمَشْيِ، وَمَا يَقَعُ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ كَالِارْتِعَاشِ، لَكِنَّ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ وَقُدْرَتَهُ وَاقِعَتَانِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ⑤ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ⑥ [التكوير: ٢٨-٢٩] وَلِأَنَّ الْكَوْنَ

كُلُّهُ مُلْكٌ لِلَّهِ تَعَالَى؛ فَلَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ شَيْءٌ بَدُونِ عِلْمِهِ وَمَشِئَتِهِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ - عَلَى مَا وَصَفْنَا - لَا يَمْنَحُ الْعَبْدَ حُجَّةً عَلَى مَا تَرَكَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، أَوْ فَعَلَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَعَلَى هَذَا فَاحْتِجَاجُهُ بِهِ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهِ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨] وَلَوْ كَانَ لَهُمْ حُجَّةٌ بِالْقَدَرِ مَا أَذَاقَهُمُ اللَّهُ بِأَسْهٍ.

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥] وَلَوْ كَانَ الْقَدَرُ حُجَّةً لِلْمُخَالِفِينَ لَمْ تَنْتَفِ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ؛ لِأَنَّ الْمُخَالَفَةَ بَعْدَ إِرْسَالِهِمْ وَاقِعَةٌ بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى.

الثَّالِثُ: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ - وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ - عَنْ عَلِيِّ بْنِ

أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَلَا نَتَكَلَّى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، اْعْمَلُوا فِكْلٌ مُيسَّرٌ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل: ٥]. وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «فِكْلٌ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١) فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَمَلِ، وَنَهَى عَنِ الْاِتِّكَالِ عَلَى الْقَدَرِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ الْعَبْدَ وَنَهَاها، وَلَمْ يُكَلِّفْهُ إِلَّا مَا يَسْتَطِيعُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا...﴾ [التغابن: ١٦]، وَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ [البقرة: ٢٨٦] وَلَوْ كَانَ الْعَبْدُ مُجْبَرًا عَلَى الْفِعْلِ لَكَانَ مُكَلَّفًا بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ الْخَلَاصَ مِنْهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ؛ وَلِذَلِكَ إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ الْمَعْصِيَةُ بِجَهْلٍ، أَوْ نِسْيَانٍ، أَوْ إِكْرَاهٍ؛ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ مَعْدُورٌ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدرا مقدورا، رقم (٦٦٠٥)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابه رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٧).

الخامس: أَنَّ قَدَرَ اللَّهِ تَعَالَى سِرٌّ مَكْتُومٌ لَا يُعْلَمُ بِهِ إِلَّا بَعْدَ وَقُوعِ الْمَقْدُورِ، وَإِرَادَةُ الْعَبْدِ لِمَا يَفْعَلُهُ سَابِقَةٌ عَلَى فِعْلِهِ؛ فَتَكُونُ إِرَادَتُهُ الْفِعْلَ غَيْرَ مَبْنِيَّةٍ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ بِقَدَرِ اللَّهِ، وَحِينَئِذٍ تَنْتَفِي حُجَّتُهُ بِالْقَدَرِ؛ إِذْ لَا حُجَّةَ لِلْمَرْءِ فِيَمَا لَا يَعْلَمُهُ.

السادس: أَنَّنَا نَرَى الْإِنْسَانَ يَحْرِصُ عَلَى مَا يُلَائِمُهُ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُ؛ حَتَّى يُدْرِكَهُ، وَلَا يَعْدِلُ عَنْهُ إِلَى مَا لَا يُلَائِمُهُ، ثُمَّ يَحْتَجُّ عَلَى عُدُولِهِ بِالْقَدَرِ؛ فَلِمَاذَا يَعْدِلُ عَمَّا يَنْفَعُهُ فِي أُمُورِ دِينِهِ إِلَى مَا يَضُرُّهُ ثُمَّ يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ؟ أَفَلَيْسَ شَأْنُ الْأَمْرَيْنِ وَاحِدًا؟!

وإِلَيْكَ مِثَالًا يُوضِّحُ ذَلِكَ:

لَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِنْسَانِ طَرِيقَانِ: أَحَدُهُمَا: يَنْتَهِي بِهِ إِلَى بَلَدٍ كُلُّهَا فَوْضَى: قَتْلٌ، وَنَهْبٌ، وَانْتِهَاكٌ لِلْأَعْرَاضِ، وَخَوْفٌ، وَجُوعٌ. وَالثَّانِي: يَنْتَهِي بِهِ إِلَى بَلَدٍ كُلُّهَا نِظَامٌ، وَأَمْنٌ مُسْتَتَبٌ، وَعَيْشٌ رَغِيدٌ، وَاحْتِرَامٌ لِلنَّفُوسِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ، فَأَيُّ الطَّرِيقَيْنِ يَسْلُكُ؟

إِنَّهُ سَيَسْلُكُ الطَّرِيقَ الثَّانِيَ الَّذِي يَنْتَهِي بِهِ إِلَى بَلَدِ النِّظَامِ وَالْأَمَنِ،

وَلَا يُمَكِّنُ لِأَيِّ عَاقِلٍ أَبَدًا أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَ بَلَدِ الْفَوْضَى، وَالْخَوْفِ،
وَيَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ. فَلِمَاذَا يَسْلُكَ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ طَرِيقَ النَّارِ دُونَ الْجَنَّةِ
وَيَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ؟

وَمِثَالًا آخَرَ: نَرَى الْمَرِيضَ يُؤَمِّرُ بِالْدَّوَاءِ؛ فَيَشْرِبُهُ، وَنَفْسُهُ لَا
تَشْتَهِيهِ، وَيُنْهَى عَنِ الطَّعَامِ الَّذِي يَضُرُّهُ؛ فَيَتْرَكُهُ، وَنَفْسُهُ تَشْتَهِيهِ، كُلُّ
ذَلِكَ طَلَبًا لِلشِّفَاءِ وَالسَّلَامَةِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَمْتَنِعَ عَنْ شُرْبِ الدَّوَاءِ،
أَوْ يَأْكُلَ الطَّعَامَ الَّذِي يَضُرُّهُ، وَيَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ. فَلِمَاذَا يَتْرَكُ الْإِنْسَانُ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ أَوْ يَفْعَلُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ؟

السَّابِعُ: أَنَّ الْمُحْتَجَّ بِالْقَدَرِ عَلَى مَا تَرَكَهُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، أَوْ فَعَلَهُ مِنَ
الْمَعَاصِي، لَوْ اعْتَدَى عَلَيْهِ شَخْصٌ فَأَخَذَ مَالَهُ، أَوْ انْتَهَكَ حُرْمَتَهُ، ثُمَّ
اِحْتَجَّ بِالْقَدَرِ، وَقَالَ: لَا تَلْمِني فَإِنَّ اعْتِدَائِي كَانَ بِقَدَرِ اللَّهِ - لَمْ يَقْبَلْ
حُجَّتَهُ، فَكَيْفَ لَا يَقْبَلُ الْاِحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ فِي اعْتِدَاءِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ،
وَيَحْتَجُّ بِهِ لِنَفْسِهِ فِي اعْتِدَائِهِ عَلَى حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى؟!

وَيُذَكِّرُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رُفِعَ إِلَيْهِ سَارِقٌ

اسْتَحَقَّ الْقَطْعُ؛ فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ فَقَالَ: مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّمَا سَرَقْتُ بِقَدَرِ اللَّهِ؛ فَقَالَ عُمَرُ: وَنَحْنُ إِنَّمَا نَقْطَعُ بِقَدَرِ اللَّهِ.

وَلِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ، مِنْهَا:

الأولى: الاعتمادُ على الله تعالى عِنْدَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ، بِحَيْثُ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى السَّبَبِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى.

الثانية: أَنْ لَا يُعْجَبَ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ حُصُولِ مُرَادِهِ؛ لِأَنَّ حُصُولَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا قَدَّرَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالنَّجَاحِ، وَإِعْجَابُهُ بِنَفْسِهِ يُنْسِيهِ شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ.

الثالثة: الطَّمَأْنِينَةُ، وَالرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ أَقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلَا يَقْلُقُ بِفَوَاتِ مَحْبُوبٍ، أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٢٢ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

﴿٢٣﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، ويقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١).

وَقَدْ ضَلَّ فِي الْقَدَرِ طَائِفَتَانِ:

إحدهما: الْجَبَرِيَّةُ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْعَبْدَ مُجْبَرٌ عَلَى عَمَلِهِ، وَلَيْسَ لَهُ فِيهِ إِرَادَةٌ وَلَا قُدْرَةٌ.

الثانية: الْقَدَرِيَّةُ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْعَبْدَ مُسْتَقِلٌّ بِعَمَلِهِ فِي الْإِرَادَةِ، وَالْقُدْرَةِ، وَلَيْسَ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ فِيهِ أَثَرٌ.

وَالرَّدُّ عَلَى الطَّائِفَةِ الْأُولَى (الْجَبَرِيَّةِ) بِالْشَّرْعِ وَالْوَاقِعِ:

أَمَّا الشَّرْعُ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْبَتَ لِلْعَبْدِ إِرَادَةً وَمَشِيئَةً، وَأَضَافَ الْعَمَلَ إِلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿...مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ...﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم (٢٩٩٩).

فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا... ﴿الآية [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٦٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦].

وأما الواقع: فإنَّ كُلَّ إنسانٍ يَعْلَمُ الفرقَ بَيْنَ أفعاله الاختياريَّةِ الَّتِي يَفْعَلُهَا بِإِرَادَتِهِ: كَالأَكْلِ، والشُّرْبِ، والْبَيْعِ، والشُّرَاءِ، وَبَيْنَ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ: كَالارْتِعَاشِ مِنَ الحُمَّى، والسَّقُوطِ مِنَ السَّطْحِ، فهو فِي الأوَّلِ فاعِلٌ مُخْتَارٌ بِإِرَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ جَبْرٍ، وَفِي الثَّانِي غَيْرُ مُخْتَارٍ، وَلَا مُرِيدٍ لِمَا وَقَعَ عَلَيْهِ.

وَالرَّدُّ عَلَى الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ (الْقَدَرِيَّةِ) بِالشَّرْعِ وَالْعَقْلِ:

أَمَّا الشَّرْعُ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ كَائِنٌ بِمَشِيئَتِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَنَّ أفعالَ الْعِبَادِ تَقَعُ بِمَشِيئَتِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿...وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اُخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَإِنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ مَمْلُوكٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْإِنْسَانُ مِنْ هَذَا
الْكَوْنِ؛ فَهُوَ مَمْلُوكٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَا يُمَكِّنُ لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي
مُلْكِ الْمَالِكِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَشِيئَتِهِ.

أَهْدَافُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الْهَدَفُ (لُغَةً): يُطْلَقُ عَلَى مَعَانٍ، مِنْهَا: (الْغَرَضُ يُنْصَبُ لِيُرْمَى
إِلَيْهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَقْصُودٌ).

وَأَهْدَافُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: مَقَاصِدُهَا، وَغَايَاتُهَا النَّبِيلَةُ، الْمُتَرْتِبَةُ
عَلَى التَّمَسُّكِ بِهَا، وَهِيَ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ، فَمِنْهَا:

أَوَّلًا: إِخْلَاصُ النِّيَّةِ وَالْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ؛ لِأَنَّهُ الْخَالِقُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ وَالْعِبَادَةُ لَهُ وَحْدَهُ.

ثَانِيًا: تَحْرِيرُ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ مِنَ التَّخَبُّطِ الْفَوْضَوِيِّ النَّاشِئِ عَنْ خُلُوعِ الْقَلْبِ مِنْ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ؛ لِأَنَّ مَنْ خَلَا قَلْبُهُ مِنْهَا فَهُوَ إِمَّا فَارِعُ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ عَقِيدَةٍ وَعَابِدٌ لِلْمَادَّةِ الْحَسِّيَّةِ فَقَطْ، وَإِمَّا مُتَخَبِّطٌ فِي ضَلَالَاتِ الْعَقَائِدِ، وَالْخُرَافَاتِ.

ثَالِثًا: الرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ، وَالْفِكْرِيَّةُ، فَلَا قَلَقَ فِي النَّفْسِ وَلَا اضْطِرَابَ فِي الْفِكْرِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ تَصِلُ الْمُؤْمِنَ بِخَالِقِهِ؛ فَيَرْضَى بِهِ رَبًّا مُدَبِّرًا، وَحَاكِمًا مُشْرِعًا؛ فَيَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ بِقُدْرِهِ، وَيَنْشَرِّحُ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ؛ فَلَا يَبْغِي عَنْهُ بَدِيلًا.

رَابِعًا: سَلَامَةُ الْقَصْدِ وَالْعَمَلِ مِنَ الانْحِرَافِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ مُعَامَلَةِ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّ مِنْ أُسُسِهَا الْإِيمَانَ بِالرُّسُلِ، الْمُتَضَمِّنَ لَاتِّبَاعِ طَرِيقَتِهِمْ ذَاتِ السَّلَامَةِ فِي الْقَصْدِ وَالْعَمَلِ.

خَامِسًا: الْحَزْمُ وَالْحِدُّ فِي الْأُمُورِ، بِحَيْثُ لَا يُفَوَّتُ فُرْصَةٌ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ إِلَّا اسْتَعْلَاهَا فِيهِ؛ رَجَاءً لِلثَّوَابِ، وَلَا يَرَى مَوْقِعَ إِثْمٍ إِلَّا ابْتَعَدَ

عَنْهُ؛ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ؛ لِأَنَّ مِنْ أُسُسِهَا الْإِيمَانَ بِالْبَعْثِ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأنعام: ١٣٢] وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى هَذِهِ الْغَايَةِ فِي قَوْلِهِ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» رواه مسلم^(١).

سَادِسًا: تَكْوِينُ أُمَّةٍ قَوِيَّةٍ تَبْذُلُ كُلَّ غَالٍ وَرَخِيسٍ فِي تَشْيِيتِ دِينِهَا، وَتَوْطِيدِ دَعَائِمِهِ، غَيْرِ مُبَالِيَةٍ بِمَا يُصِيبُهَا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، وَفِي هَذَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة، وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله، رقم (٢٦٦٤).

سابعًا: الوُصُولُ إِلَى سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِإِصْلَاحِ الْأَفْرَادِ
وَالْجَمَاعَاتِ، وَنَيْلِ الثَّوَابِ وَالْمُكْرَمَاتِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

هذه بعض أهداف العقيدة الإسلامية، نرجو الله تعالى أن يحققها
لنا، ولجميع المسلمين؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

تَمَّتْ بِقَلَمِ مُؤَلِّفِهَا

مُحَمَّدُ الصَّالِحُ الْعُثَيْمِينُ

الفهرس

٢	مُقَدِّمَةٌ.....
٤	الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ.....
٨	أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ.....
١٢	أُسُسُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.....
١٣	الْإِيْمَانُ بِاللّٰهِ تَعَالٰى.....
٢٩	الْإِيْمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ.....
٣٦	الْإِيْمَانُ بِالْكِتَابِ.....
٣٨	الْإِيْمَانُ بِالرُّسُلِ.....
٤٤	الْإِيْمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.....
٦٢	الْإِيْمَانُ بِالْقَدَرِ.....
٧٢	أَهْدَافُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.....



رسالة النذير الحزين

محتوى إرشادي شرعي لقاصدي المسجد الحرام
والمسجد النبوي باللغات



978-603-8534-88-5